واذ قد اوضحنا فساد رأيَ اليعاقبة فنوضح ايضاً فساد رأيَ النسطور مع رأي المنوثليين في قولهم بمشيئةٍ واحدة الهيَّة وفعل واحد الهي وان كان المنوثليُّون قد اصابوا بقولهم قنوم واحد بطبيعتين. ونقول اما الفعل الذي يعتقدونهُ في السيد المسيح ويزعمون انهُ الهي فقد اوضحنا ما يُفسد رأيهم فيهِ في احتجاج الملكيَّة بما يدل على فعلين. فما فيهِ كفوٌ لردع النسطور واليعاقبة والمنوثليين

واما المشيئة التي اتفق عليها المنوثليُّون والنسطور واليعاقبة وخالفوا الملكيَّة وزعموا انَّ في السيد المسيح مشيئة واحدة الهيَّة فنُجيب عن ذلك قائلين ان السيد المسيح يقول وقت الآلام « ابتاهُ ان امكن ان يجوز عني هذه الكاس لكن لا كمشيئتي بل كمشيئتك » وهذا فيدل على مشيئتين لان اللاهوت لا يجوز ان يُقال انَّ لهُ مشيئتين وهذا ردٌ على النسطور ايضاً بقولهم مشيئة واحدة الهيَّة وعلى اليعاقبة ايضاً ان السيد المسيح ذو طبيعةٍ واحدة الهيَّة ومشيئة واحدة الهيَّة لانَّ بقولهِ « لا كمشيئتي بل كمشيئتك » دلَّ على مشيئتين لطبيعتين

واذ قد اتينا على ما قصدنا بيانهُ بتأييد الله وعونهِ المؤتي من العود اليابس ثمرًا ومن الصخرة الصمَّاء ماء نسأل الله الاب والابن والروح القدس ان يكفَّ تظالم الكنيسة المقدَّسة ويُنظم افتراقها ويجمع شملها ويزيل الانشقاق منها ويثبت المحبَّة الروحانيَّة بين اولادها فانَّ بهِ يليق المجد والاكرام والتسبيح والوقار من الان والى دهر الداهرين

النَبرُ أو المدُّ والقَصْرُ

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

١ توثير

ليس من امةٍ على وجه البسيطة اعتنى ابناؤها بالتجويد مثل امة البيزنطيين فانهم بلغوا في تحقيق(١ التوراة شأوًا بعيدًا تقطَّعت دونهم اعناقُ مسابقيهم فيهِ . وقد فاقوا

(١ التحقيق عند اهل التجويد : «اعطاء كل حرفٍ حقَّهُ من اشباع المدّ وتحقيق الهمزة واتمام الحركات واعتماد الاظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها واخراج بعضها من بعض بالكت

في ذلك اليونان والرومان وان لم يكونوا بمنزلتهم من الفلسفة والعرفان وقد عنوا لاختلاف انواع الحدر والتدوير والترعيد والترقيص والتطريب والتحزين (١ في تلاوة الكتاب ما يتخفى منهُ العَجبُ العُجاب وقد اصطلحوا لكل ذلك على اشارات وعلامات ولمارات تحير عندها الالبـاب . ومن جملة ما تعرَّضوا لهُ في هذا الباب . النَبرَةُ فانهم احسنوا إحكامها وأحكامها حتى لم يبقَ في ذلك ادنى ارتياب

ومِمَّن جارى البَبْريين في هذا الميدان العَرَب فانهم لمَّا كثر اختلاطهم بجاورتهم وعاشروهم بل نشأ اقوام منهم بين ظهراني اصحـاب التوراة (وذلك قبل الاسلام بقُرُونٍ عديدة) تعلَّموا منهم اصول التجويد واحكامهُ ومن ثمَّ اصبح فيهم طبيعيًا غريزيًا . قُلنا : « تعلموا منهم » لان العرب كانوا أُمِّيين اهل راعيةٍ وسائمةٍ وليس من هَمِّهم معرفة هذه الامور ولا اتقانها . ولا لوم عليهم ولا تثريب

ولمَّا جاءهم الاسلام اتقنوا اي اتقانٍ علوم القرآن ومن جملتهـا التجويد فانهم ابدعوا فيهِ حتَّى لم يبقَ لمستزيد من مزيد . وممَّا عرفوهُ احسن المعرفة وادَّوهُ حقَّ التأدية ما سمَّاهُ المحدثون في عصرنا هذا بـ « النَبرَة » فانهم تكلَّموا عنها وافاضوا في شرحهـا وهم مع ذلك لم يُوفُوها حقَّهـا من البحث والتطويل اللازم ولعلَّ سبب ذلك عموم معرفتها وانتشار استعمالها بين الجميع فلم يكن حاجة في تعليم معلوم كما لا حاجة في تحصيل حاصل

الَّا ان الافرنج الذين كتبوا عن اللغة العربيَّة وآدابها انكروا كل الانكار كون السلف من العرب كتبوا شيئًا عن النَبرَة ولعلَّهم بحثوا في كُتُب القوم عمَّا عساهُ يقع تحت

والترتيل والتُؤَدَة وملاحظـة الجائز من الوقوف بلا قَصْرٍ ولا اختلاس ولا امكان حركٍ ولا ادغامٍ » (بحرفهِ عن الاتقان ١ : ١٠١)

١) الحَدْر « بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين هو : ادراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والادغام الكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك » — و « التدوير هو : التوسُّط بين المقامين بين التحقيق والحَدْر » — و « الترعيد هو : ان يرعد صوتهُ كأنهُ يرعد من بردٍ او ألمٍ » — و « الترقيص هو : ان يروم السكوت على الساكن ثم ينفر مع الحركة كأنهُ في عَدْوٍ او هَرْوَلةٍ » — و « التطريب هو : ان يترنَّم [بالقراءة] ويتنغَّم بما فيمدّ في غير مواضع المدّ ويزيد في المدّ على ما لا ينبغي » — و « التحزين هو : ان يأتي على وجه حزينٍ يكاد يبكي مع خشوع وخضوع » (كل ذلك بحرفهِ عن الاتقان ١ : ١٠٢ و ١٠٣)

هذا العنوان او عمَّا يضاهيه فلم يجدوا فشدَّدوا هذا النكير. وجدَّدوا صوت هذا النفير. كل مرَّةٍ طرقوا باب هذا البحث الخطير

اما كتبة الغرب المحدثين فلمَّا ارادوا التحرير في مثل هذا الموضوع عينه رفعوا عقيرتهم هُم ايضاً على مثل ما رفعها الاجانب وما ذلك الَّا لثقتهم بالافرنج ثقةً تفوق كل تصوير غير انهم لم ينكروا علينا كون الاولين عرفوا النبرَة واحكموا وضعها والتلفُّظ بواقعها ومساقطها وبكلمة واحدة فقد قالوا بقول الافرنج ولم يُختلف كلامهم عن كلام هؤلاء بشيء ولا بذرَّةٍ. قال حضرة العلَّامة الخوري يوسف داود (وهو الذي سُبِقَ بعد ذلك على دمشق الشام وعُرف باسم المطران اقليميس يوسف داود) في كتابه « التمرنة في الاصول النحويَّة » ١ : ٢٣ من طبعة سنة ١٨٧٥ ما هذا حرفهُ :

« ان النبرَة لم يبحثْ عنها نحاة العرب لا لانها لا توجد في لغتهم. فانهُ في جميع اللغات لا بُدَّ للمتلفظ من ان يرفع صوتهُ في جزء واحدٍ من كل لفظة دون سائر اجزائها. بل لانهم لم يروا الاحتياج الى الكلام عنها اذ انَّ الطبع نفسهُ في اغلب الاحيان يدلُّ عليها. فلم يصطلحوا على اسمٍ عاميّ لها ولا رسموا لها علامة. بخلاف اليونان والعبران. واما ان الحاجة الى الكلام عن النبرَة لازمة في زماننا فواضح من ان اكثر العجم اي القرباء غير العرب في تكلُّمهم باللغة العربيَّة يفسدون الفاظها لعدَم مراعاتهم ضوابط النبرَة. وان اقواماً كثيرة من المتولِّدين في العربية انفسهم لا يحكمونها كل الاحكام » اه

وبهذا المعنى نطق ايضاً من تلا هذا العلَّامة في الكتابة عن هذا الموضوع بل وربَّما زادوا في الغرابة ليزدادوا شهرةً فقد قال احدهم : ولعلَّ السبب في ذلك (اي في عدم تعرُّض العرب للكلام على احكام النبر) انهم وجدوهُ طبيعيًّا في الناطقين بهذا اللسان على كونهِ « لا يُغيِّر شيئاً من حقيقة اللفظ » فلم يفردوا لهُ موضعاً في تصانيفهم اه لان هذا الكاتب اذا قال لهُ قائلٌ سامَ وسما (يسمو) وسماء فهو بمعنى واحد عندهُ فلينظر العاقل اذا كان في هذا الكلام وجه للصواب فانهُ في ذلك يتبع كلام الافرنج ورأيهم لانهم لا يرون فرقاً بين هذه الكلمات عند تلفُّظهم بها كما تتحقَّقهُ فيهم اليوم

هذا ولا أُريد ان اجحد هنا امرًا في هذا الصدد وهو : ان اول من سبقنا الى

البحث عن النبرة وذكر لها قواعد صريحة على الطريقة الحديثة المتخذة اليوم في المدارس هم الافرنج وفي مقدمتهم العلامة الفرنسي دساسي الشهير ثم تلاهُ غيرهُ من الالمانيين ثمَّ من الانكليز ثمَّ من الايطاليين وان كان علماء الايطاليين هم اوَّل من كَتَب من الافرنج عن نحو العربية

٢ اصل لفظة النبرة ومعناها واول من كتب منها بهذا الاسم

النبرة لغةً من النَّبْر وهو عند العرب: ارتفاع الصوت يُقال: نبَرَ الرَّجلَ نبرةً اذا تكلَّم بكلمةٍ فيها عُلُوّ (عن ابن الانباريّ في لسان العرب) واصطلاحاً هو ارتفاع الصوت في مقطع من مقاطع الكلمة. واوَّل من اطلق معناها على هذا المصطلَح اللغويّ الشهير المعلم بطرس البستاني في كتابهِ محيط المحيط اذ قال: النبرة ... من المغنّي رفع صوتهِ عن خفضٍ اي بعد خفضٍ ولا باس من تسمية ما تُسمّيهِ الافرنج بالاكسنت (قلت: والاحسن: بالأكسان طونيك accent tonique) بالنبرة لرفع الصوت فيهِ اكثر مما يجاورهُ كما في ضمّ الجيم من رجل وفتح الدال من «تدحرج». اه ولم يزد على هذا القدر لا في غير موطنٍ من محيط المحيط ولا في غيرهِ من سائر مؤلَّفاتهِ

واوَّل من كتب عنها مطوَّلاً في العربيَّة على الطريقة الحديثة المذكورة هو العلَّامة الذي استشهدنا بكلامهِ فوق هذا فقد بحث عنها بحثاً طويلاً في كتابهِ الثمرة (١: ٢٣ — ٢٥) واتخذ لها نفس التسمية التي سماها بها المعلم بطرس البستاني. الَّا ان من طالع ما كتبهُ هذا الطران الجليل ووقف على ما سبقهُ اليهِ الافرنج في هذا البحث يتحقَّق هذا الامر وهو انهُ اعتمد في ما قرَّرهُ من قواعدهِ على فُصُول الافرنج ولذا اخطأ في المواضع التي اخطأوا فيها واصاب في ما اصابوهُ ورجَّح في ما رجَّحوهُ. افهذا كان من قبيل توارد الخواطر ووقوع الحافر على الحافر ام من باب الاعتماد والاخذ عمَّن سبق؟

٣ اسمها عند من سبقنا من العرب

وقد حان لنا بعد ايراد ما تقدَّم ان نذكر اسمها عند من سبقنا من العرب الَّا اني استميح القارئ مرَّة ثانية في استماع كيفية وقوفي عليها لتزداد ثقتهُ بكلامي التالي ولا

يجرّد عليّ بعد ذلك سيف اعتراضه الماضي لاني ارى من الآن طائفة من الادباء لا يوافقونني على هذا الراي ولهذا اجيب عن اعتراضهم قبل ان يوجهوه اليّ :

اني كنتُ قد نشأتُ على هذا القول السابق ذكرهُ وبينما كنتُ يوماً في مجلس حضرة فقيد العلم والادب الشيخ العلّامة الشهير نعمان افندي الالوسي جرى الحديث « والحديث ذو شُجُون » على النبرة . وذكرتُ له رأيي المتقدّم الاشارة اليه فانكر عليّ ذلك وشايعهُ كل من كان في مجلسه من علماء الزوراء الاعلام وقالوا كلهم اجمعون : ان العرب عرفت النبرة وتكلمت عنها في كُتُبها . ولمّا طلبتُ من الجلاس باي اسم ذكروها وفي اي نوع من الأسفار بحثوا عنها . قالوا : هذا يطلب بحثاً عنها قبل الجواب الكافي الشافي . ثم قال لي حضرة الشيخ الجليل نعمان افندي : « إيتني بنصّ مترجم عن الافرنج في حقيقة النبرة واقسامها على وجه الاجمال بدون تعرُّضهم لنبرة العرب وانا ادلّك بعد ذلك على ضالّتك المنشودة » فنقلتُ له الى العربيّة في اليوم الثاني ما جاء في « معجم بُويّه العام في العلوم والادب والفنون » (Bouillet. Dict. univ. des sciences, des lett. et des arts.) عن النبرة واليك صورة ذلك التعريب :

« النبرةُ . . . والمراد بالنبرة ايضاً : رفع الصوت وخفضُهُ على هذا او ذلك المقطع عند التلفُّظ بالكلمة وهذه النبرة تسمّى « بالنبرة الشعريّة او التنغيمية » وتطلق عليها اسم (الحادّة accent-aigu) اذا رفعت الصوت عليها . واسم (الثقيلة ac. grave) اذا خفضتَ الصوت عليها . واسم « المركّبة (ac. circonflexe) اذا رفعت الصوت او خفضتهُ على التعاقب على نفس ذلك الحرف العليل . ويُطلق غالباً على اسم النبرة الحادّة لفظة النبرة التنغيمية او اللحنية او اسم « النبرة » فقط وذلك من باب التغليب . واليك قاعدة عامة في هذا الصدد وهي : لا يمكن ان يكون للكلمة الواحدة غير نبرة واحدة » . . . اه

وبعد ان سلّمت بيد الشيخ الوقور هذه الاسطر واطلع عليها قال لي : وانت ايضاً ابحث عن هذه الضالّة فلعلّك تعثر عليها نيابةً . فعدتُ الى محلي وانا اتصفّح الكُتُب واحداً بعد واحدٍ حتّى وقعتُ على كتاب الاتقان للسيوطي فطالعت فيه « باب المدّ والقصر » فالفيتُ في بعض كلامه اشارةً ضعيفةً بعيدةً الى النبرة « الحادّة » او التنغيمية او « النبرة » مطلقاً والى النبرة « الثقيلة » ايضاً . وكان ذلك في اليوم الثالث من تصفّحي

الاسفار فلما كان اليوم الرابع تأبطتُ الكتاب وسمتُ الوطن بسمةٍ وذهبتُ عند الشيخ لاطلعهُ على الفصل المذكور قبل ان يتعب نفسهُ في البحث والتنقيب . فلمَّا رآني قال لي: لقد فهمتُ سبب مجيئك وهذا الكتاب الذي تراهُ عن يميني ينتظر قدومك فخذهُ وطالع فيه : « النوع الثاني والثلاثين » فلمَّا عرفتُ انهُ « الاتقان » قلتُ: فخذ الآن وطالع ما اتيتُكَ بهِ وهذه العلامة تشهد باني قد عثرت على نفس ما عثرت عليهِ من امر هذه الضالَّة التي تنشدها معاً . فتعجب من هذا الاتفاق الغريب كما تعجَّبتُ انا ايضاً منهُ . ثم قال لي : لا تعُد تقول بعد ذلك ان العرب لم تطرق هذا الموضوع . فقلتُ لهُ : ولكني ايها الشيخ الجليل اعترف لك بجهلي واقرُّ لك بقلَّة فهمي في كيف ان المدَّ يكون نبرًا معاً والمؤلف لم يتعرَّض لهذا البحث اذا ما تدبَّر الانسان تحديدهُ ثم انَّ المدَّ غير النبر والعكس بالعكس وان بينهما بعدًا بيِّناً على ما ارى بل بعد الثريَّا عن الثرى فكيف كل هذا وقد قال لي في المدِّ : « المدُّ عبارة عن زيادة مطٍّ في حرف المدِّ على المدِّ الطبيعيِّ وهو الذي لا تقوم ذاتُ حرف المدِّ دونهُ . وقال في القصر : « القصر تركُ الزيادة وابقاء المدِّ الطبيعيِّ على حالهِ » ولم يزد على هذا القدْر فكيف ترى فيهِ النبرَ وهو لم يُشر اليهِ ولو من طرف خفيٍّ ؟ فقال : ان المدَّ لا يكون الَّا ويُشدُّ بقرنهِ النبرُ اي رفع الصوت والطبيعة نفسها تدفعك الى هذا الامر وذلك لانك اذا حاولت ان تمدَّ الحرف في الكلمة اندفع النَّفَسُ من اقصى الفم بعد ان تكون آلاتهُ قد تهيأت لهذه الغاية والذي يحتاج الى طول نَفَسٍ يحتاج ايضاً الى قوَّة لكي يتمكَّن من ان يبلغ مداهُ . بخلاف ما اذا كان في الحرف قصر . هذا وانَّ القوَّة تخرج بكل شدَّتها في اوَّل صدُورها ثم تتناقص وتضعف شيئاً فشيئاً كما هو مقرَّر في ناموس الاصوات وعليهِ فما يجيء بعد المدِّ يكون طبعاً قصير المدَّة وضعيف القوَّة معاً . وانت ترى انَّ الافرنج قد اخذوا اصطلاحهم من جهة العلوّ والخفض ثم علَّقوا بهما المدَّة بان يكون العالي امدَّ من المنخفض والمنخفض اقصر من العالي واعتبروا كل ذلك بمنزلة فرع لذلك الاصل . واما نحن فقد نظرنا في اصطلاحنا الى المدِّ والقصر اي الى المُدَّة ثم عقدنا بناصيتها العلوّ والخفض ومرجع الاصطلاحين واحدٌ كما تتبيَّنهُ عند ادنى تدبُّر . وتُلاحظ هذا الامر كلهُ من ان لهم ثلاثة انواع من النَّبر : حادّ وثقيل ومركَّب كما ذكرتَ لي ونحن ايضاً نُميِّز ثلاثة

انواع من المدّ : مدٌّ وتوسُّطٌ وقصرٌ (الاتقان ١ : ٩٩) ولو امعنت النظر في النبرة نفسها لرأيتَ فيها ثلاثة انواع ايضاً وهي نبرة شديدة ونبرة ضعيفة ونبرة متوسطة

قلتُ لهُ : انك لا تقنعني الا بصورة كلية . فاني استحسن كلامك كلهُ لكن باليتَ في عبارة المؤلف بعض الالماع الى هذا التفسير البديع الجليل . فمن يؤكد لي ان ما تقولهُ هو عين الحق لا ريب فيهِ وان كان يقيني في حضرتك عظيماً من جهة العلوم العربية . كيف لا ونحن في عصر نستند فيهِ الى امور راهنة بيّنة مقرَّرة ولا ارى هذه الشروط قد اجتمعت في ما تقول الا بشقّ النفس . قال : (١) قد تكون الامور راهنة بيّنة مقرَّرة بدون ان تكون مكتوبة فا كلّ مقرّر بيّن مكتوب مُدوَّن . (٢) انا نحن العرب من المسلمين نستند في كل ما نقولهُ الى ما تلقَّيناهُ عن شيوخنا الفطاحل واخذناهُ عنهم شفاهاً . والحال ان الذي اخذناهُ عنهم في هذا الموضوع هو هذا الذي ذكرتُهُ لك . (٣) انك اذا تدبَّرتَ ما اشار السيوطيُّ الى مدّهِ من الكلم تحقَّقتَ ايضاً نبرهُ في القواعد التي قرَّرها المحدثون من هذا القبيل (٤) انك ان اردت ان تتحقَّق نعتًا ما اقولهُ لك فاسأل عنهُ المجوّدين في كل بلدٍ ولسمعهم بكل انتباه فتراهم كلهم وفي جميع البلاد العربيَّة لا يجوّدون الا على طريقةٍ واحدةٍ وهذا اعظم دليلٍ أبينهُ لك في هذا الصدد وهو وحدهُ كافٍ ليقنعك . أفتتصوَّر انهُ يمكن لهؤلاء الذين مهنتهم القراءة وحسن التجويد ان يتواطؤوا على هذا اللفظ منذ مدَّة وجيزة . او لا يدلُّك هذا على ان منشأ اللفظ واحدٌ وانَّ جميعهم تلقَّوهُ عن مبدإٍ واحدٍ

قلتُ لهُ : ها اني قد قنعتُ بعض الاقناع : لكن كيف الامر ونبر الحروف التي لا مدَّ فيها والتي لم يتعرَّض لها المجوّدون في كُتُبهم . وجواباً عن هذا السؤال اوْرَد لي قواعد وامثلة ترى خلاصتها مدوَّنة في ما يلي وقد ذكرتُها على الطريقة الشائعة في المدارس فراراً من الالفاظ الاصطلاحيَّة وتقريباً لها من الافهام العامّيَّة

قواعد النبرة

(القاعدة الاولى : النبر بالهجاء الاول) اذا كانت اللفظة مركبة من مَقْطَعين (١

---

١) قد انكر بعضهم عربية لفظة « المَقْطَع » وقالوا : انما من اوضاع العامّة وان كَتَبَة العرب لم تعرفها . قالوا واما نصّ محيط المحيط : « المَقْطَعُ ايضاً حرف مع حركة او حرفان ثانيهما

لا غير فالنبرة تقع على المقطع الاول اي على الحرف الاول من المقطع نحو « دَعا ونَصَر وعارَك ويَرْمي وقطرُب ودحرَج » فانك تنبر في هذه الامثلة بالدال في الاول وبالنون في الثاني وبالعين في الثالث وباليـاء الاولى في الرابع وبالقاف في الخامس وبالدال في السـادس

(القاعدة الثانية : النبر بالمقطع الاخير) اذا تتالى ساكنان صحيحاً كان اولهما كما في « جِرْدَحل وسِجِلّ وقِمَطْر » او عليلًا « كالعِباد والحِسَاب ونَسْتَعِين والرَّحيم ويُوقنون ودابَّة وإلَّم » الخ . فتُحَكِّم النبرة على المقطع الاخير اي على الحرف السـابق لهذين السـاكنين يعني انك تجعل النبرة على الدال في جردحل وعلى الحيم في سجل وعلى الميم في قِمَطْر وعلى الباء في العِباد وعلى السين في الحساب وعلى العين في نستعين وعلى الحاء في الرحيم وعلى النون في يوقنون وعلى الدال في دابَّة الخ

(القاعدة الثالثة : النبر بالمقطع السـابق للاخير) اذا تركبت اللفظـة من ثلاثة مقاطع فصاعداً وكان المقطع السـابق للاخير مُتَقَوِّماً من متحرك فساكن فلا تنبر الَّا بهذا المجاء نحو « تَمَاسَى واَسْتِبدّي ويَسْتَشْفي واَسْتَغْوا » فانك توقع النبرة على العين في الاول وعلى الميم في الثاني وعلى التاء في الثالث والرابع

(القاعدة الرابعة : النبرة المختلف فيها) وان كان المجـاء السـابق للاخير حرفًا

ساكن فضَرَبَ مركب من ثلثة مقاطع وموسى من مقطعين (لان الاول من ثلاثة احرف متحركة والثاني من متحركين يليهما ساكنان) . . . ويُطلق ايضاً على مخرج الحرف من الحلق او اللسان او الشفتين » اه فإن فيه نقصاً لانهُ سها عن ذكر كلمة « عامِيَّة » في آخر عبارته . قلنا : والامر على خلاف ما يظنون فان لفظة « مَقْطَع » وان لم توجد في كُتُب اللغة (إلّا في اغلب الاحيان لا تتعرَّض للالفاظ الاصطلاحية) الَّا ان الاشتقاق لا يأبى هذا المعنى فهو مأخوذ من محل قطع الصوت عند كل مجاء اي عند كل جزء من اجزاء الكلمة على حدّ ما نصَّ عليه البستاني في محيطه . بل وقد وردت اللفظة في كُتُبهم . قال في شرح المجزّرية اي في كتاب المنح الفكرية على متن الجزرية ص ٨ ما نصُّهُ : قالوا في تعريف الحرف : هو صوت مُعْتَمَد على « مَقْطَع » محقَّق وهو لن يكون اعتمادهُ على جزء معيَّن من اجزاء الحلق واللسان والشفة اه وكفانا شاهداً على صحة استعمال المقطع بالمعنى المذكور مثل ابن سينا . فانهُ قال في الشفاء (المقالة الخامسة من الفن الثاني عشر من الرياضيات ورقة ١٧١ من نسخة المتحف البريطاني) « المقطع الممدود يسميه العروضيون السبب (الخفيف) والمقصور اذا قُرن به الممدود سموه الوتد » اه

متحركاً فقط مع الشروط المتقدّم ذكرها وكان المقطع الذي قبلهُ يُخالفهُ في البنـاء اي اذا كان مركباً من متحرك فساكن مثل: « مَسكَنَة ومُندَفِق واَحدَوْدَبَت » نبرت بالسابق للاخير على اللهجة (١ المصريّة وبالذي قبلهُ (وان كان متحركاً فقط مثل جرَحتْ) على اللهجة الشائعة بين العرب اي انك تجعل النبرَة على الكاف في مَسكَنَة وعلى الدال في مُندَفِق وعلى الدال الثانية في اَحدَوْدَبَتْ وذلك تبعاً لِلهجة المصريّة . وتحكمها على الميم في الاوّل والثـاني . وعلى الدال الاولى في الثالث وعلى الجيم في جرَحتْ على اللّهجة الفاشية بين عامّة العرَب

٥ فوائد وزوائد

١ انّنا في جميع الامثلة التي استشهدنا بها اعتبرنا الحرف الاخير ساكناً من جهة الوقف . واماّ اذا حرّكتهُ فحينئذٍ يتحوّل موطن النبرَة فانك ان وقفتَ مثلاً على الراء في « نَصَر » جعلت النبرَة على النون . وان لم تقفْ على الحرف الاخير منهـا وقلت « نَصَرَ) تلقّتكَ حينئذٍ القاعدة الرابعة من قواعدنا اي نَبَرْتَ بالصاد على اللغة المصريّة وبالنون على اللغة المشهورة . وهكذا قل اذا اتّصل بالكلمة ضمير من الضمائر فزاد في تركيب مقاطع الكلمة كقولك نَشَرَهُ ونَصَرَها ونَصَرَهُما الخ

٢ ان اختلاف اللهجة المصريّة عن اللغة العامّة متسبّب على الارجح من اختلاط عرب مِصْر بالأعاجم المتجمعين في تلك البلاد من عناصر شتّى فسدت بذلك لهجتهم الاصليّة كما فسَد عندهم شيء كثير من لفظ الحروف العربيّة ودخول كلمات جمة من الاعاجم الّا انّ هذا الاختلاف والحقّ احق ان يقـال لم يحدث قبل قرن او قرنين بل منذ قرون الاسلام الاولى . واماّ القول بان اختلاف لهجتهم عن لغة سائر العرب كان كذلك عند العرب القدماء انفسهم اي عند اولئك الذين جاؤوا الاقطار المصريّة في

---

١) قد انكر بعضهم عربيّة « اللّهجَـة » بمعنى تكيّف صوتي خاصّ بلُغَةِ امة او قبيلة او بلدٍ ويقابلها بالفرنسيّة (accent) بهذا المعنى ايضاً . قلنا : وقد اخطأوا هُنا ايضاً في تعرّفهم هذا . قال في التاج : . . . وفي الاساس : يُقال فلان فصيح اللّهجَة واللّهجَة وهي لغتُهُ التي جُبل عليها واعتادها ونشأ عليها . وبهذا ظهر ان انكار شيخنا (وعليهِ فان هذا الانكار قديم لا حديث) على من فسّرها باللغة لا الجارحة وجعلهُ من الغرائب قصورٌ ظاهر كما لا يخفى » اه هـذا الكلام الشائق

اول احتلالهم اياها فهو غير ثبت ويحتاج الى ادلةٍ مكينةٍ ونظنها من الآن انها لا تقوم على قائمة قويمة . والسبب هو ان قبائل العرب التي احتلّت الديار المصريّة احتلّت ايضاً غيرها من البلاد . والحال انّ جميع عرب سائر البلاد متّفقة في ما بينها الّا عرب مصر من هذا القبيل . اذًا . . .

٣ انّ قرّاء العراق يُميّزون مدًّا ونبرًا الالفاظ المتشابهة بعدد المقاطع المختلفة بصورة الكتابة فانهم في « إرَم » (للمفرد المذكر) يجعلون النبرة على اوّل الكلمة اي الهمزة وفي « إرمي » للمفرد المؤنث يجعلونها على الميم للتفريق بين المذكر والمؤنث . وكذلك يميّزون بين قولهم : « أضربُ » وقولهم « إضربُوا » . وعلى « كِتَابِ » وعلى « كِتَابِي » فانهم يجعلون النبرَ على الحرف الذي يسبق هذه الضمائر تمييزًا لها عن الحركات ونظنّ ان سائر العرب يفعلون كذلك

٤ والمجوّدون يغيّرون ايضاً موطن المدّ والنبر لسبب معنويّ كقصد المبالغة في النفي مثلًا ومن ذلك مدُّ التعظيم ونبرُهُ قال في الاتقان : « مدّ التعظيم في نحو لا إله الّا هو . لا إله الّا الله . لا إله الّا انت . وقد ورد عن اصحاب القصر في المفصل لهذا المعنى ويسمّى مدّ المبالغة (ونبرُهُ) قال ابن مهران في كتاب المدّات : « انما سُمّي مدّ المبالغة لانهُ طلب للمبالغة في نفي الهيّة سوى الله تعالى . قال : وهذا مذهب معروف عند العرب لانها تمدُّ (وتنبر) عند الدعاء وعند الاستغاثة وعند المبالغة في نفي شيء ويمدون (ويبرون) ما لا اصل لهُ بهذه العلّة . قال ابن الجزَريّ : وقد ورد عن حَمزَةَ مدّ المبالغة للنفي في « لَا » للتبرئة نحو « لا ريب فيهِ . لا سردَ لهُ . لا تَيَمّم » . وقدرهُ في ذلك وسط لا يبلغ الاشباع لضعف سببهِ . نصَّ عليهِ ابن القصّاع . وقد يجتمع البيان اللفظيّ والمعنويّ في نحو لا إله الّا الله . ولا اكراه في الدين . ولا اثم عليهِ فيمدّ حمزة مدًّا مشبعاً على اصلهِ في المدّ لاجل الهمز ويُلغي المعنويَّ اعمالًا للاقوى والغاء للاضعف . اه (الاتقان ١ : ٩٩) ومن اراد الاطالة في هذا الباب الاخير فعليهِ بالاتقان ففيهِ زيادة شرح باسهاب لا يُمَلّ وربّك فوق كل ذي علم عليم